



افتتاحية العدد

٦

نحو وعي مُتجدّد بالمسألة المفهومية

بقلم رئيس التحرير د. عبد الرزاق بلعقروز

”وَكُنْ وَصِيًّا نَفْسِكَ، وَ لَا تَجْعَلِ الرَّجَالَ أَوْصِيَاءَكَ؛ وَ اعْقِلْ
أَمْرَكَ، وَ تَيَقِّظْ مِنْ سِنِّكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ عَمْرِكَ“

... الحارث بن أسد المحاسبي

”إِنَّ تَكَرُّرَ الْكَلِمَةِ لَا يَعْنِي تَكَرُّرَ الْمَفْهُومِ، لِذَلِكَ يَجِبُ إِعَادَةُ
التَّرْكِيبِ الَّذِي يَكُونُ الْمَفْهُومَ مُتَضَمَّنًا فِيهِ“

... جورج كانغيلام



المفاهيم، لأن المفاهيم هي روح المعرفة، وروح الحياة على حد سواء، وبيان هذا الأمر أن المفهوم لا ينحصر في الاستنباط النظري للأفكار، بل هو موصول بنموذج الحياة العملية التي مبنها الاختيار الإرادي، ولو أننا صَنَّفنا منزلة المفهوم ضمن أبواب العلوم، لقلنا إنه «النسيج الضام» الذي يتخلل العلوم برمتها، النظرية منها والعملية. ولذا فحري بنا أن نخوض بحر المفهوم، مستشكرين لمسائله، وفاحصين لقوانين تشكُّله، ومستنبطين للكيفية المنهجية التي نتحرر بها من وصايا الآخرين على مفاهيمنا، وأن نمارس فعل التَّعَقُّل الأصيل، بما هو تحصيل القدرة على التَّمييز: التَّمييز بين الإبداعي والتقليدي، والتَّمييز بين المتشابهات و المتشاكلات، والتَّمييز بين المفاهيم المقصودة والمفاهيم المرصودة.

إن البدء في هذه الافتتاحية بالعبارة الأولى، لهو قصدٌ في المعرفة والعمل على حد سواء، فما يتعطلُّ العقل عن إبداعه، والسلوك عن انطلاقه، إلا عندما يجعل الإنسان لغيره وصاية على عقله، يُفكِّر مكانه، ويرسم له طريق التَّدبير، بينما الأصوب هو كسر هذه الدائرة والاعتداد بالذَّات في الاستشكال والفحص، والتيقُّظ من حال الغفلة الفكرية، وهذا هو المعنى الذي يجعل الفكر يتأمل الأشياء بمعزل عن النصوص المقصودة السائدة أو الآراء المفروضة ليس بقوة البرهان، وإنما بقوة التقليد والعجز عن الانطلاق والحركة، ومن المعلوم أنه لا فرق بين إنسان يقلد وبهيمة تنقاد.

وليس في المعرفة باب شهد معاندة وقلقا وتيها، مثل ما شهد باب

معاني هذه الألفاظ إلى المعجم الحدائى الذي يَعتَبِرُ بالإنسان وليس بالإله، وَيَعتَبِرُ بالعقل و ليس بالغيب، وَيَعتَبِرُ بالحياة الأولى وليس بالحياة الثانية، وقبل هذا، يَعتَبِرُ بالنُّظام اللغوي المرتبط بالسياقات الثقافية الغربية، وليس النُّظام اللغوي الذي ينتمي إليه. ومعلوم أنه لا عمران في العلوم من غير انتماء معرفي وجريان على عادات اللغة في التعبير و التبليغ.

إنَّ الوعي المعاصر لن يستخرج دفائن المفاهيم، إلا بالبحث الحصيف، والاستشكال والمقارنة بين نظامه اللغوي، والأنظمة اللغوية السائدة، لأن المفهوم ليس هو المدرك العقلي المجرد، والذي يريد أن يتعالى على الألفاظ، إنما هو المدرك العقلي الذي يستنبطه القارئ من اللَّفظ، ومقتضى هذا أنه لا انفكاك للمفهوم عن اللَّفظ واللَّفظ، ولا انفكاك للمفاهيم أو للأفكار أو للمقولات^(١) عن ذخيرتها اللُّغوية؛ ومأذجها المعرفية في إدراك الوجود. وإذا كان هذا هكذا، فإنَّ المطلوب

وإذ تقرَّرَ هذا، فمن الواجب أن نقصر عليه، ونصرف السَّعي إلى مقصودنا، وهو الإبانة عن اعتبارية المفهوم في فكرنا الحالي، وتأتي هذه الاعتبارية من أن مسألة المفهوم كما تصدَّى لها النَّص التراتي الإسلامي، كانت منحصرة ضمن مباحث اللُّغويات والمنطقيات؛ ولم تلامس المفردات التأسيسية أو الرؤية إلى العالم؛ فهي إلى الجزئيات أقرب منها إلى الكليات؛ فقد كان العقل حينذاك يعاند الاصطلاحات اليونانية، ويُحِلُّ محلَّها اصطلاحات مأصولة، تجد ذخيرتها اللغوية والإجرائية في النَّص القرآني بما هو النَّص المؤسس للثقافة الإسلامية. فسادت آليات التَّقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالأمثلة الفقهية والألفاظ العامية، وآليات تفقيه المنطق، أو دمج علم الفقه بعلم المنطق استصلاحا واستكمالا واستعمالا.

إلا أن مسألة المفاهيم، تعدَّت هذا الحد الجزئي كما هو ظاهر في الثقافة الإسلامية الموروثية، وباتت تلامس المفاهيم الكبرى المؤسِّسة للثقافة الإسلامية، فدخل مفهوم الدين ومفهوم العلم ومفهوم الإنسان ومفهوم الأسرة ومفهوم الثقافة ومفهوم الحكمة ومفهوم التَّوحيد في قلق والتباس، بسبب الاستناد في فهم

(١) يقول ألان باديو: «نَحْنُ نُسمِّي وحدات الخطاب الإيديولوجي أفكارا، ووحدات الخطاب العلمي مفاهيم، ووحدات الخطاب الفلسفي مقولات». أوردها التريكي، فتحي، في مساهمته «نشوء المفهوم والفكرة والمقولة وسيورتها في مختلف التَشكيلات الخطابية»، في كتاب: عبد السلام المسدي و آخرون، تأسيس القضية الاصطلاحية، تونس، بيت الحكمة، ١٩٨٩، ص ١٠٩.

مرجعيات معرفية متباينة. ولا بد من القول بأنه فضلا عن مقالات الملف المخصّصة لسؤال المفاهيم؛ فإن هذا العدد ضمّ أيضا نصوصا ذات أهمية قصوى؛ بخاصة في سياق ما يمور به الفكر من مسائل تثير الاهتمام، وأمرها يستلزم أن نفكر فيها، وندخل في حوارية مع الغير لأجل المصاححة والتصاوب حول إشكالاتها. فكان بحث «استشكال التّغريب في نقد محمد أركون للخطاب الديني»، واقفا على وقوع محمد أركون في جدل بين المتلقي الإسلامي و المتلقي الغربي من حيث قيمة مقارنته لسؤال الدين، بينما يرى الباحث أن هذا الاعتقاد قد حجب الأدوات المعرفية التي توّسل بها أركون في استيعابه للموروث والحديث. وجاء البحث الثاني حاملا عنوان «العقول الثلاثة بين المتقدمين والمتأخرين ومعضلة التّكامل»، حيث عرض الجدل بين العقل الفقهي والعقل الفلسفي والعقل الصّوفي؛ في صيغته التاريخية وفي صيغته المعاصرة؛ مقترحا التّموذج المقاصدي لإحقاق التّكامل بين مراتب هذه العقول. أما البحث الموسوم «بالعنف المزدوج قراءة في الجذور المؤسّسة للعنف» فقد سعى إلى تفكيك أصل العنف، الذي هو، برأى الباحث،

هو إعمال منهجية جديدة في تفكيك المفاهيم ورسم معالم المفهمة الإبداعية.

إن هذا العدد الجديد والمزدوج ٧/٦ من مجلة نماء لعلوم الوحي والدّراسات الإنسانية» يتبغى وصل الأبحاث وتوجيه العقول نحو المسألة المفهومية في مجالات العلوم الإنسانية والشّرعية، كي نرتقي من رتبة النّقل للمفاهيم من الموروث أو من الحديث، إلى رتبة المكابدة المفهومية، والمكابدة بما هي التّحام عقلي وروحي، وبما هي جهاد علمي هي النّور الأضوأ لتحرير الفعل هو الآخر من الاضطراب والرّتابة والارتكاس؛ والأخذ به إلى المبدأة والمبادرة والإنجاز. وهذا معنى قولنا من قبل إن للمفاهيم جزءا نظريا وآخر عمليا.

لا ندّعي أننا أحطنا بكل جوانب وأبعاد المسألة المفهومية، وإنما نتبغى لفت اهتمامات الفكر إلى قيمة المفهوم من حيث مرّكباته اللّغوية وأساسه الميتافيزيقية، فالمفاهيم ليست إجراءات محايدة لا أثر للتّحيّز فيها؛ إنّما تندمج في صميم خيارات الباحث والمفكر، وتتفاعل جدليا مع النموذج المعرفي المبني على التّحيّز والاختزال والاختيار رأسا.

وهذا ما سعى ملف هذا العدد المزدوج ٧/٦ إلى استشكاله وفحصه من

والدراسات الإنسانية»، فقد افتتحت ببحث عنوانه «إبداع المفهوم وصناعة المصطلح في تجربة طه عبد الرحمن»، رام كاتبه رسم منهج الخروج من ضيق الاتباع والتَّهويل إلى رحابة التَّأثيل والإبداع. تلاه البحث الموسوم بـ«مشكلة المفهوم في تاريخ العلوم: جورج كانغيلام أمودجا»، وقد أبان عن وحدة المصدر في المفهوم، وأن الاختلاف آت من اختلاف موضوعات العلوم، كما نبَّهنا إلى أن تكرار الكلمة لا يعني تكرار المفهوم، وأن المطلوب هو إعادة التَّركيب دوماً. وتعرض بحث «تحيّز المفاهيم: من النِّقد المفهومي إلى أفق البناء الحضاري» إلى نموذج مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي؛ ورصد آليات بن نبي في تحريره لمفهوم الثقافة من أسلوب الهدم ووصله بأسلوب البناء. أما بحث «مفهوم الإستطيقا وإشكالياته في فلسفة الصورة عند إدmond هوسرل»، فقد راهن على توفر ملامح جمالية عند هوسرل، لم تعرف نفس الاهتمام الذي حظيت به قضايا العلوم والمنطق عنده، لهذا فالبحث في غرضه يرمي إلى إظهار الإستطيقا عند هوسرل. وتعرض بحث «جهود عبد الوهاب المسيري في بناء فقه التَّحيّز» إلى مساءلة مفهوم التَّقَدُّم والكشف عن عدائه

آت من طريق الدَّولة الحديثة وعنف السيادة في السياق الحدائي، وآت أيضاً من تأويل المقدَّس في السياق التراثي، منتهياً إلى أن التَّسامح والتَّحرُّر من عقلية الأحادية هي الأفق للقطع مع العنف المستشري في هذه السياقات السائلة. أما البحث الموسوم بـ«النحو والبلاغة: من صور التكامل المعرفي في خدمة النص الأدبي» فقد وجد في النموذج التكاملي بينهما في التاريخ فوائد جمّة، مما جعل الباحث يصطلح عليه بـ«التَّكامل التَّأسيسي».

وتعرض بحث «الممارسة الفقهية وتساعد أهمية ملكية الأرض في البلاد التونسية وفي مصر خلال القرن السادس عشر»، إلى محورية المنظومة الفقهية وإلى دورها في توجيه الحياة الاجتماعية ورسم رهاناتها، مطبقاً هذا المنظور على ملكية الأرض، وقوانين التَّشريع وعلاقة الظروف التاريخية بالجغرافيا و المجتمع.

أما بحث «الدولة المفترضة»، فقد ذهب إلى أنّ الدولة لم تتحقّق في الثقافة الإسلامية، ليس بسبب الرؤية الدينية الإسلامية، وإفما بسبب السُّلطان التسلطي باسم ما هو روحي.

أما أبحاث ملف العدد «التجديد في المفاهيم من منظور علوم الوحي

وفي الأخير، لا بدّ من الإقرار بأن مجلّة نماء، ما تزال تواصل إنارة الدروب المعرفية والمنهجية والقيمية للإنسان الباحث؛ عن النور الأضوأ؛ الذي يُشرق، كي يُحرّر الذّات من التّقليد ويُسكنها دوماً في العنوان الإنساني الرّافع والحافز: الاجتهاد في العقل والجهاد في الإرادة. وتسعد المجلة دوماً، بتلقي المساهمات العلمية الرصينة التي تعكس البناء الفكري التكاملي والتكبيبي بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية، وتسعد بتلقي الدراسات الحرة والترجمات الجديدة في حقول المعرفة الإنسانية والشرعية.

ولا يسعنا في الأخير إلا تقديم الشكر إلى كل الفريق المرابط من أجل أن يواصل العقل المسلم الإشراق بنوره من شمس هذه المجلّة التي باتت محل اهتمام وتواصل، من مدير المركز الأستاذ ياسر المطرفي إلى مدير التحرير الأستاذ هشام المكي، فالإلى كل هيئة التحرير والهيئة العلمية الاستشارية، وإلى العاملين في الإخراج الفني والتحرير للمجلة، كل الشكر على أداء هذه الواجبات الأثقي بإنسان العُمران الحضاري الذي يصنع التاريخ بهذا الفكر القويم و السلوك الرّشيد.

للإنسان. وسارت بقيّة الأبحاث في خط التفكير في المفهوم استشكالا واستدلالات؛ وهي بحث «الفلسفة والمفهوم بين توسط المعنى والمعرفة في الديانة المسيحية»، وبحث «مفهوم العلة عند الفلاسفة والأصوليين والمتكلمين»، وبحث «التّخصّصية التّكامليّة والموضوعيّة المتحيّزة: كيف نعمل بهذين المفهومين في سياق المراكز البحثية»، ثم بحث «مفهوم الثقافة في البحوث الإنثربولوجية: قراءة في سياقات النّشأة ومسارات التّداول».

وتضمن العدد المزدوج أيضاً: قراءة في كتاب «روح التفلسف لحمو النقاري»، وترجمات ثلاث هي تواليا: «العلاقة بين الأخلاق والقانون: فلسفة الحق عند هابرماس من وجهة نظر التّداولية الترنسندنالية»، لكارل أوتو آبل»، ترجمها د. عبد العزيز رّجح؛ والأخرى «أيّ أخلاق للزّمن الحاضر: قراءة زيغمونت باومان»، ل: بيير أنطوان شاردل؛ و«الوضعية الحالية للفلسفة الأخلاقية» لريتشارد رورتي، ترجم النّصين: أ.د محمد جديدي.

كما تضمّن العدد حوار جديداً مع البروفسور وائل حلاق، حول منهجه في النّظر الفكري، وضميرة مفاهيمه، وأبعاد مشروعية الإستمولوجية والأخلاقية.